

ضرورة تكيف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية لاستخدامها في الدراسات الأكاديمية

Necessity of adapting the psychological and educational tests and scales for use in academic studies

د. عفيفة جديدي

أستاذة محاضرة، جامعة العقيد آكلي محند أولحاج بالبويرة،

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،

قسم علم النفس وعلوم التربية،

البريد الإلكتروني: af_djedidi@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2020/04/24

تاريخ الإرسال: 2019/09/28

الملخص:

تعتبر الاختبارات والمقاييس التي يستخدمها الباحثون في دراساتهم النفسية أو التربوية، من أهم الأدوات التي يتم الاستعانة بها؛ لغرض ضبط متغيرات الدراسة، أو لغرض تشخيص الظاهرة التي يتم دراستها، أو لغرض إيجاد الحلول المناسبة في ضوء النتائج المتوصل إليها. وقد عرفت اناستازي (Anastasi, 1976) الاختبار النفسي بأنه مقياس موضوعي مقنن لعينة من السلوك، وكلمة سلوك هنا قد تعكس قدرة الفرد اللفظية أو الميكانيكية أو قد تعكس سمة من سماته الشخصية، أو قد تعكس مجموعة من الأداءات الحركية. وبذلك تظهر أهمية هذه الأدوات في الدراسات الأكاديمية، لذلك يجب أن تتوفر فيها شروط الاختبار الجيد؛ خاصة إذا كانت هذه الأدوات مستمدة من بيئة أجنبية تختلف في عاداتها وثقافتها عن البيئة التي سيطبق بها الاختبار، ولا يتحقق ذلك إلا بتكيف هذه الأدوات على البيئة المستهدفة.

الكلمات المفتاحية: تكيف؛ ترجمة؛ تقنين؛ اختبارات ومقاييس.

Abstract:

The tests used by researchers in their psychological or educational studies, are among the most important tools for controlling the variables of the study, diagnosing the phenomenon to be studied or providing adapted solutions according to the results. . Anastasi (1976) defined the psychological test, as an objective and standardized measure of a sample of behavior. The word behavior here may reflect the verbal or mechanical abilities of an individual, or may reflect a personal characteristic, or may reflect a group of motor skills. It is here that we perceive the importance of these tools in academic studies. Therefore, these tools must fulfill the requirements of a good test, especially if they come from an environment different from their customs and culture in relation to the environment in which the test will be applied, and this only in adapting these tools to the target environment.

Key words: Adaptation; Translation; Standardization; Tests and Scales.

مقدمة:

يحتاج الباحث الجامعي، إلى استخدام أدوات لقياس الخصائص التي يتناولها في دراساته، وهي عادة عبارة عن اختبارات ومقاييس صممت في بيئات أجنبية (إما غربية أو عربية)، تختلف عن البيئة الجزائرية سواء من حيث اللغة، الثقافة، العقيدة، العادات، القيم وحتى من حيث مفهوم الخاصية التي صمم لأجلها الاختبار، والاختبارات والمقاييس، نجدها منقولة عن طريق الترجمة المباشرة (الحرفية) Traduction littérale، مما يجعلها في حاجة إلى التكيف؛ كي تتلاءم مع تركيبة الفرد الجزائري وخصوصيته التي تميزه عن غيره، ولكي تتلاءم كذلك مع خصائص البيئة الجزائرية. إلا أن واقع البحث الأكاديمي، يظهر نقصا كبيرا في مجال بناء أو تكيف الاختبارات النفسية والتربوية، نتيجة اعتبارات عديدة؛ قد ترجع في أغلبها إلى التكلفة المادية الباهظة للقيام بهذه العملية، ناهيك عن الجهد الفكري والبدني المرهق، وكذا الوقت المستغرق لتوزيع الأدوات وجمعها ثم معالجتها وتحليلها وتفسيرها ففي دراسة أجرتها بن حليم

وآخرون (2017)، هدفت إلى رصد المعوقات التي تحول دون قيام الباحثين الجزائريين وعزوفهم عن بناء مقاييس محلية وتقنين وتكييف المقاييس العالمية. توصلت الدراسة إلى أن أهم المعوقات تمثلت في: نقص التكوين الأكاديمي والتطبيقي في مجال القياس، ضيق الوقت، غياب المادة العلمية، عدم توفر عينة الدراسة، عدم التحكم في الجانب الإحصائي وعدم توفر الأداة كاملة. أما الحلول المقترحة، فتمثلت في إنشاء مخابر بحث وبنك للمعلومات خاص بالمقاييس النفسية، تسطير برنامج وطني للتكيف يحول دون تشتت الجهود وتكرارها، تصميم المقاييس ضمن فريق بحث، تكوين الباحثين جيذا بحصص دراسية أو دورات تدريبية في الإحصاء وكيفية بناء الاختبار النفسي¹.

لقد أكدت بعض الدراسات عبر-الثقافية Etudes Interculturelles، أو ذات الطابع المقارن في علم النفس، وجود عدة مشكلات تنشأ من جراء الاختلافات الثقافية. وأولى هذه المشكلات، اللغة ومدى قدرتها على التعبير عن مختلف المعاني، بالإضافة إلى تصميم الاختبارات الأدائية المناسبة للثقافات المختلفة، فكل ثقافة منطقها وعناصر متداولة فيها ومألوفة. ويشير لوموف وآخرون (Lomov & al, 1993)، إلى أن المفاهيم التي تطورت في ثقافة معينة ستكون أقل فاعلية في التفاعل مع عقول الأفراد في ثقافات مختلفة؛ نظرا لأن المفاهيم لا يمكن استيرادها، فهي تعكس قيم الثقافة والخصوصية التي تطورت فيها. كما تحتوي المفاهيم على قيم وآراء، تعمل على تشويه الإدراك وإعاقة الفهم العميق عندما تطبق في بيئة أخرى. فالعالم الغربي عندما شرع في بناء اختبار معين، قد وضع نصب أعينه "إنسان غربي" بكل ما تحمله الكلمة من معاني ثقافية وحضارية وعقائدية، ولكن الباحث نفسه لو نظر إلى فرد عربي مسلم مثلا، فسوف يفشل في إدراك ووعي جوانب مهمة في ثقافته، وبالتالي لن يتمكن من تقديم اختبار صالح لهذه الثقافة؛ ويعزى ذلك إلى أن عملية التصور لإدراك هذه الجوانب غير موجودة في علمه أساسا².

1 بن حليم أسماء. حبال ياسين ومأمون عبد الكريم، 2017. بناء تقنين وتكييف الاختبارات النفسية في الجزائر. المعوقات والحلول والبدائل من وجهة نظر أساتذة علم النفس، مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 05، العدد 01، ص 296

2 بوسالم عبد العزيز، جوان 2017، الصديق الثقافي للاختبارات النفسية المطبقة في الجزائر، مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 04، العدد 02، ص 188

يمكن اعتبار اختلاف مستويات التعليم من ثقافة إلى أخرى، عاملاً مؤثراً في تشكل المعايير النفسية والاجتماعية في ثقافة معينة حسب Crocker. نجد كذلك أن اختلاف دافعية الإنجاز عند الأفراد من مجتمع لآخر، يعتبر عاملاً أساسياً في تحديد الاستجابات في الكثير من الاختبارات (كاختبارات الذكاء والقدرات الخاصة والاختبارات الإسقاطية للشخصية على وجه الخصوص).. لذلك أصبح نقل الاختبار النفسي من بيئة وتطبيقه في بيئة أخرى مختلفة، يتطلب الاهتمام باعتبارات سيكولوجية قياسية ثقافية أولاً، وهذا ما ذهبت إليه الجمعية العالمية للقياس النفسي في دليلها الصادر عام 1996 من طرف مختصين في علم النفس والقياس المهتمين بتكييف الاختبارات للاستعمال عبر الثقافي، أبرزهم Hambleton, Bollwark, Van de Vijery. وقد حددوا بعض القواعد الواجب احترامها عند محاولة نقل اختبار من ثقافة وتطبيقه في أخرى قصد تقليل حجم الفروق الثقافية ومحتوى البنود المقدمة¹. يرى هامبلتون، أنه من الممكن تنظيم مصدر الأخطاء أو عدم صلاحيتها، في ثلاث فئات عامة:

أ. اختلافات لغوية ثقافية.

ب. موضوعات تقنية، خطط، برامج.

ج. ترجمة النتائج.

في هذا الصدد، يؤكد هامبلتون أن الفشل في الاهتمام بمصادر الخطأ في كل من تلك الفئات، يمكن أن ينتج عنه عدم مساواة الاختبار الذي جرى تكييفه، عند استخدامه في مجموعتين مختلفتين لغوياً وثقافياً. إن الاختبارات غير المتساوية، عندما يفترض أن تكون متساوية، تؤدي إلى أخطاء في التفسير ونتائج مغلوطة عن المجموعات المشاركة²، وفي سياق متصل بوجه عام، يشير كل من كيم وباري (Kim & Berry, 1993) إلى أن علم النفس الغربي يواجه مشكلتين أساسيتين، هما³:

1 بوسالم عبد العزيز، 2015، الاختبارات النفسية المطبقة في الدراسات الأكاديمية الجزائرية وضرورة التكييف من أجل الصلاحية،

مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 14، ص 21

2 هامبلتون رونالد. ميريندا بيتروف وسبيلرغر تشارلز د، 2006، تكييف الاختبارات التربوية والنفسية للتقييم عبر الثقافات، ترجمة هالة برمدا، مراجعة عشوي مصطفى، ط 01، المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان، ص 23-24

3 حدار عبد العزيز، 2012، إشكالية النقل الثقافي للمقاييس النفسية وموجهاته المنهجية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 05، العدد 07، الجزائر، ص 93

. مشكلة المصادقية الداخلية: أو ما يسمى بالعمى الثقافي فهو علم جد اختزالي؛ لأن نظرياته تتجاهل الكثير من العوامل، التي تؤثر في السلوك الإنساني داخل النسق الثقافي الذي تجذر فيه.

. مشكلة المصادقية الخارجية: أو ما يسمى بالقيود الثقافي، إذ لا يمكن تعميم نتائجه وقوانينه ومفاهيمه و أدواته على الثقافات الأخرى. لهذه الاعتبارات وتلك، فإن عملية التعميم تحتاج إلى موجهات وإجراءات أو آليات للنقل الثقافي من السياق الثقافي المصدر إلى السياق الثقافي المستهدف، حتى يمكن التحقق من صلاحية هذه النظريات بعناصرها . وتشكل المقاييس النفسية إحدى هذه العناصر التي تحتاج إلى تكيف ثقافي بالدرجة الأولى لكي يتسنى استخدامها بشكل وجيه.¹ إذا كان الباحث يعرف أنه سيستخدم الاختبار للغة أو ثقافة مختلفة، فمن المفيد أن يضع ذلك في الحسبان في بداية عملية تطوير الاختبار. وإذا أخفق في ذلك، فسينتج عنه صعوبات في عملية التكيف والتي تؤدي بدورها إلى تخفيض صدق الاختبار المكيف.²

1. مفاهيم أساسية: نورد فيما يلي، أهم المفاهيم المستخدمة في عملية تكيف أدوات القياس، والتي قد تسبب نوعاً من الارتباك (Confusion) والخلط فيما بينها؛ حين يقوم الباحث بتكييف أدواته على البيئة المقصودة بالدراسة. وللإشارة، فإن هذه المفاهيم مترابطة فيما بينها، وهي في مجموعها تعبر عن الخطوات الأساسية لعملية التكيف:

1.1 التكيف (Adaptation): يتضمن تكيف الاختبار النفسي، تطبيق الاختبارات المصممة في مجتمع أصلي ما على مجتمع آخر جديد، بشرط أن يتم احترام وتقدير التغييرات اللازمة التي تجعله يتوافق مع ثقافة الوسط الذي سيطبق فيه من جديد. وبهذا، فإن عملية تكيف الاختبارات لا تعني فقط عملية ترجمة محتواها في رمز لغوي جديد، ولكن الأمر يتعلق بإبداع جديد، يضم مختلف عمليات التحرير والتعبير والإبدال والإضافات، يضاف إليها مختلف التبريرات النظرية والعمليات الإحصائية والتطبيقية³، ويشير مفهوم تكيف الاختبارات النفسية، إلى كل الإجراءات التي يتبعها الباحث؛ بداية من تقديره عما إذا كان باستطاعة الاختبار تقدير التركيبة

¹ نفس المرجع السابق، ص 93

² هامبلتون، مرجع سابق، ص 29

³ نعموني مراد، جانفي 2014، التكيف الثقافي للاختبارات النفسية للبيئة العربية (آراء واقتراحات)، مجلة الحكمة للدراسات النفسية والتربوية، المجلد 02، العدد 03، ص 153

نفسها عند نقله من ثقافة إلى أخرى، وصولاً إلى محاولته الحصول على مفاهيم، مفردات وتعابير متعادلة ثقافياً، لغوياً ونفسياً مع الثقافة الجديدة للاختبار. فالتكيف يشمل جملة من التعديلات المنطقية المدروسة والمرحلية والتي تحتاج إلى أدلة علمية لتؤكد أن الاختبار بصورته الحالية صالح للتطبيق، ونتائجه تنطبق على العينة الجديدة وفق خصائصها الثقافية¹، ويتطلب التكيف الثقافي للاختبارات، مراعاة العديد من الإجراءات وإتباع عدة مراحل، نوجزها في ما يلي²:

- ينبغي الأخذ بعين الاعتبار، الأدوات والتقنيات والوسائل المناسبة للتكيف، ويجب أن يتضمن هذا الرأي تقويماً موضوعياً لصدق مواصفات القياس للمعايير في ثقافة المنشأ، ويجب أن لا يحصل الافتراض بأن الأداة صادقة لمجرد استخدامها بشكل موسع.
- في خطوة الترجمة (الترجمة الأولية والترجمة الراجعة أو العكسية)، ينبغي التأكد من أن المترجمين خبراء في اللغتين ويعملون بشكل منفرد في مرحلتَي الترجمة (مرحلة الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف والعكس)، وهنا ينبغي الانتباه إلى صدق ترجمة المتغيرات في اللهجات لتأثيرها على الترجمة من حيث المفهوم والمعنى.
- يجب دراسة إمكانية تكيف كل بند للثقافة المتلقية، إذ يمكن أن تستعصي بعض البنود عن النقل المباشر، فنقوم بتعديلها وإصلاحها أو إهمالها ووضع بدائل لها.
- القيام بدراسة استطلاعية، حيث يجري استخدام النسخة التجريبية حسب الأعراف الثقافية والممارسات والعادات وما إلى ذلك، للحصول على نموذج تتطابق فيه النسخة الأصلية مع النسخة المكيفة.
- عند تحليل المعطيات التي تم الحصول عليها عند تطبيق النموذج التجريبي، يجب دراسة بنية وعينة الأداة ومقارنتها مع بنية الأداة الأصلية، وفي هذه المرحلة يمكن أن يقرر الباحثون ضرورة إعادة بعض الخطوات السابقة قبل الاستمرار.
- القيام بالتحليل الإحصائي الضروري؛ لإثبات خصائص القياس السيكولوجي للأداة المكيفة ثقافياً، فالأدنى المقبول في هذه المرحلة هو حساب درجة الثبات الداخلية للبنود وصدق الدرجات

1 بوسالم، 2015، مرجع سابق، ص 22

2 نعموني، مرجع سابق، ص 155-156

والمعايير، فبدون المعايير تصبح الدرجة الخام لا تعني شيئاً في الاختبار النفسي، لذا ينبغي استعمال الأدوات الإحصائية المناسبة، التي تسمح بالمقارنة بين الفرد والجماعة المعيارية.

- القيام بدراسات للبيئة ولصدق المعايير، تتسجم مع الأغراض الأخرى المرجوة من استخدام الأداة في الثقافة المتلقية.

2.1 الترجمة (Traduction): يؤكد هذا المفهوم، على الحاجة إلى النظر في مدى ملائمة الترجمة من الناحية النفسية؛ فالبنء (Item) أو حتى المفردة (Mot) في أي اختبار، عند نقلها من اللغة المصدر (Source) إلى اللغة الهدف (Cible) يجب أن تحافظ على دلالتها وقابليتها للفهم، وذلك بمراعاة الاعتبارات اللغوية والنفسية التي تشير إلى غياب الانحياز في النطاق الثقافي الواسع.

يعتبر استخدام لفظ التكيف، أفضل من استخدام لفظ الترجمة؛ لأنه لا يدل ضمناً عن الترجمة الحرفية لمحتوى الاختبار. وترجمة الاختبار تعد خطوة واحدة في عملية التكيف، وحتى في هذه الحالة يعتبر مفهوم التكيف مناسباً أكثر من مفهوم الترجمة؛ ذلك لأن المترجمين يحاولون الحصول على مفاهيم مفردات وتعابير متعادلة ثقافياً ونفسياً ولغوياً للغة والثقافة الأخرى، لذلك تأخذ المهمة بعداً أكثر من ترجمة محتويات الاختبار حرفياً¹.

قد تهدد اللهجات في لغة ما صدق تكيف الاختبارات؛ أي أن اللهجة هي الأهم أو هي الهدف المستخدم في التكيف، الذي يمكن تطبيقه داخل اللغة الواحدة، فهذه النقطة يجب الانتباه لها قبل البدء في عملية التكيف ويجب تنبيه المترجمين لها. كما أن إحصاء تكرار الكلمات قد يكون قيماً في الحصول على ترجمة اختبار صالح، ومن الأحسن ترجمة الكلمات والتعابير المكونة من عدة كلمات بذات التواتر في اللغتين؛ وذلك للسيطرة على الصعوبات عبر اللغات. والمشكلة أن لوائح تواتر الكلمات والتعابير ليست متوفرة دائماً، وهذا سبب آخر لتفضيل المترجمين الذين لهم اطلاع على كلتا الثقافتين المصدرة والمستهدفة وليس معرفة اللغتين فقط²، وتستعمل اللامركزية - في بعض الأحيان - في تكيف الاختبارات النفسية، فمن الممكن أن لا يكون لبعض الكلمات أو

1 هامبلتون، مرجع سابق، ص 22

2 عباس عبد الرحمن، 2017، الانحياز الثقافي للاختبارات النفسية ذات المنشأ الغربي في البيئة الجزائرية، مجلة السراج في التربية

وقضايا المجتمع، العدد 01، الجزائر، ص 141

التعابير مرادف في اللغة المستهدفة، حتى أنه من الممكن أن لا توجد تلك الكلمات أو التعابير في تلك اللغة. إن عملية اللامركزية تتضمن مراجعة اللغة الأصلية، وبذلك يتم استخدام أساس لغوي مترادف في لغة النسختين. واللامركزية تصبح ممكنة عندما يكون الاختبار الأصلي في مرحلة التحضير في ذات الوقت الذي يتم فيه إنجاز نسخة اللغة المستهدفة¹.

3-1 التقنين (Standardisation/Normalisation): يعرف التقنين على أنه؛

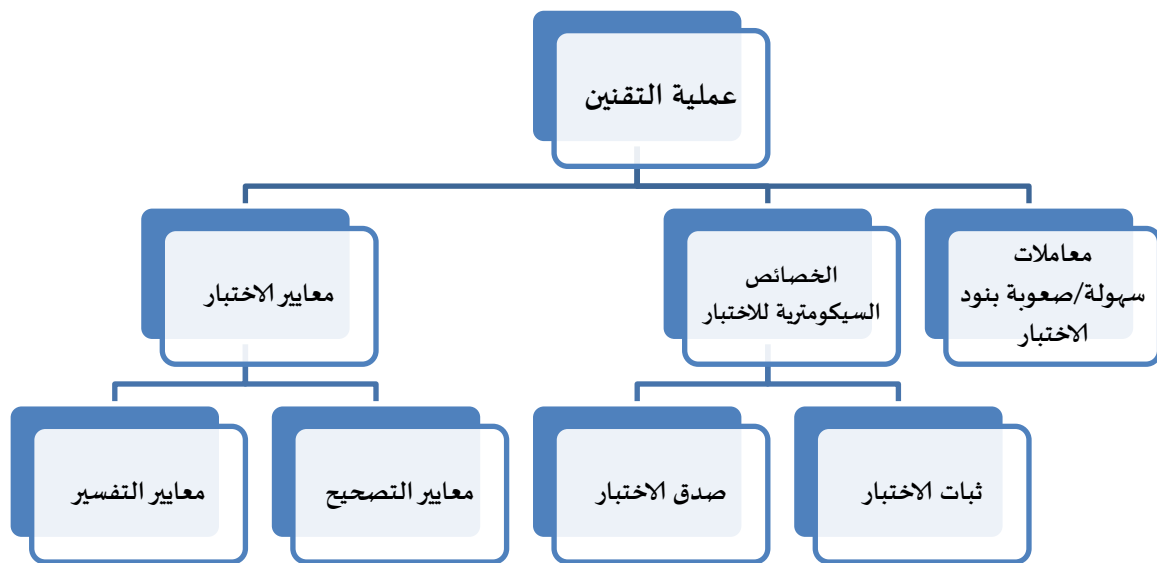
العملية التي يتم من خلالها التحكم في العوامل غير المناسبة، والتي يمكن أن تؤثر في عملية القياس، وتخفيض أخطاء القياس إلى حدّها الأدنى عن طريق تطبيق الاختبار على عينة ممثلة لمجتمع الدراسة؛ بغرض الحصول على خصائص سيكومترية (يقصد بها الصدق والثبات) تتفق مع خصائص الاختبار الجيد، ومن ثمّ توفير المعايير المناسبة لتفسير الدرجات الخام (Scores bruts)، تعتبر عملية التقنين، المرحلة الأخيرة من مراحل تصميم الاختبار النفسي وإعداده للاستخدام. وتشمل هذه العملية مجموعة من الإجراءات، على الأخصائي في مجال القياس أن يقوم بها بشكل جيد، حتى يصبح الاختبار صالحاً للاستخدام بكل ثقة. وهي (الإجراءات) مجموعة من الدراسات النظرية والميدانية والإحصائية التي تجرى على الاختبار النفسي؛ مثل دراسة بنوده ومعاملات صدقه وثباته وتحديد معاييرهِ وتحديد تعليمات تطبيقه بالنسبة للفاحصين والمفحوصين، ووضع طريقة تصحيحه والحصول على الدرجات الخام، وكيفية تفسير نتائجه وفقاً للمعايير المشتقة².

تعد أساليب دراسة الصدق والثبات، بالإضافة إلى أسسهما النظرية، من الأمور شديدة الأهمية بالنسبة للمتعاملين بالاختبارات والمقاييس، سواء أولئك الذين يصممون اختبارات جديدة، أو أولئك الذين يستخدمون الاختبارات لأغراض متعددة. فأى اختبار بلا صدق وثبات، أو أهملت مناقشة قضايا صدقه وثباته، أو قبلت لهما محاكات ضعيفة، لا يعد أداة علمية مقبولة. وقد يقوم الباحث بأكثر من تجربة استطلاعية، لحساب الثبات بهدف اختبار تأثير اختلاف الفترات الزمنية المختلفة بين الاختبار وإعادة الاختبار، أو الفروق في الثبات في حالة استخدام

1 عباس عبد الرحمن ومهلل زينة، 2016، النقل الثقافي للاختبارات ذات المنشأ الغربي في البيئة الجزائرية، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، المجلد 01، العدد 01، الجزائر، ص 243

2 معمريّة بشير، 2007، القياس النفسي وبناء أدواته، الجزائر: منشورات الحبر، ص 190

صور متكافئة مختلفة للاختبار، أو اختلاف أساس التصنيف لمواد الاختبار على المعاملات التي يتوصل إليها من تطبيق المعادلة نفسها. كما يقوم بتجارب مختلفة لاختبار محاكات الصدق، إلى غير ذلك من الدواعي التي تتطلب منه القيام بسلسلة من التجارب الأولية، قبل الاطمئنان إلى سلامة الاختبار الذي يستخدمه للحصول على مادة علمية، أو الحصول منه على مؤشرات تفسر الدرجة عليه وتوضح مصادر الخطأ فيها¹، ويمكن تلخيص ما سبق، في المخطط التوضيحي الآتي:



مخطط رقم (01): مكونات (عناصر) عملية التقنين

4 الانحياز (التحيز الثقافي) والتكافؤ (Biais culturel & Parité): يختلف مفهوم الانحياز والتكافؤ في أدبيات بناء الاختبارات، فيقال عن عملية قياس أنها منحازة؛ إذا اختلفت الدرجات الممنوحة في الاختبار من لغة إلى أخرى أو من ثقافة إلى أخرى، بسبب وجود تباين غير مرغوب في معنى النتائج المتحصل عليها. ويرتبط مفهوم التكافؤ من الناحية الذهنية بقياس أوجه الخلاف بين العادات والتقاليد، المعايير والقيم الاجتماعية وما ينتج عن ذلك من انحياز، فالاختبار المنحاز سوف يعطي درجات غير متكافئة وغير صادقة، مما يعني أن تفسيرها ليس

1 فرج صفوت، 2007، القياس النفسي، ط06، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ص163

موضوعيا. وعلى الرغم من أن الانحياز ينشأ من عدة مصادر، فمن الضروري التمييز بين فئاته؛ فكثيرا ما تؤدي مصادر مختلفة إلى أنواع متماثلة من الانحياز¹.

والجدول الموالي يوضح نوع الانحياز ووصفه:

جدول رقم (01): أنواع الانحيازات الممكن الوقوع فيها عند تكيف الاختبارات النفسية

نمط الانحياز	الوصف
انحياز البنية	تداخل غير تام بين الفئات الثقافية
انحياز البند	ترجمة سيئة للبند، تأثر الإجابة على البند بالعامل الثقافي
انحياز المنهج	مصطلح عام يشمل جميع عوامل الخلل الناتج عن أحد جوانب المنهج
انحياز الأداة	أشكال الأداة التي تسبب اختلافا في الدرجة والتي لا علاقة لها بالبنية
انحياز إداري	قصور التواصل بين منفذي الاختبار والخاضعين له
انحياز الموضوع	اضطراب نص الموضوع مثل الترجمة السيئة

المصدر: عباس ومهلل، 2016، ص250.

2. ضرورة تكيف الاختبارات والمقاييس:

على الرغم من كثرة الاختبارات وتنوعها، وتعدد استخداماتها في قياس جوانب الشخصية والسلوك البشري والمشكلات النفسية التي تواجه الأفراد في البيئة الجزائرية، فإنها خلفت العديد من الإشكاليات التي أسهمت بشكل كبير في الحد من فعالية ونجاح عمليات القياس والتقويم، والناتجة عن عمليات الترجمة والتقنين. ومن أبرز هذه الإشكاليات²:

- أغلب هذه الاختبارات أوروبية وأمريكية الصنع والبناء، وتم تعريبها وتطويرها بما يخدم الباحث في دراسته الميدانية، بالرغم من اختلاف الخصائص الشخصية للأفراد في المجتمعات الغربية والمجتمعات العربية (تحديدا المجتمع الجزائري)، بالإضافة إلى التباين الثقافي والقيمي بينهما.

1 عباس ومهلل، مرجع سابق، ص 249-250

2 عباس ومهلل، مرجع سابق، ص 239-240

- غالبية الاختبارات مترجمة بطريقة تسمح للمفحوصين بتزييف الاستجابة، خاصة تلك الاختبارات التي تقيس جوانب خاصة في الشخصية، أو تكشف عن العالم الداخلي للفرد؛ فقد تتطلب بعض البحوث النفسية أن يعطي المفحوص بيانات عن نفسه بشكل مباشر (ويشمل ذلك ميول، قيم، معتقدات أو اتجاهات). وقد تختلط الأمور على المفحوص فيجب على الأسئلة بوصفها ما يجب أن يكون أو كما هو مرغوب فيه في الثقافة التي ينتمي إليها، وهذا ناتج عن أن الترجمة السيئة قد تكشف عن المعنى الكامن للبند وتجعل المفحوص يتجنب أن يعطي الإجابة الصحيحة.
- معظم الاختبارات المعربة لا يتفق محتواها مع ثقافة المجتمع، ولا تخاطب الفرد الجزائري، وبالتالي لا يهتم بالإجابة عنها بدقة وموضوعية، ويترتب عن ذلك توصل البحث لنتائج مضللة لا تعكس واقع السمة المقاسة.
- أغلب الاختبارات المقننة متحيزة ثقافيا، فعملية التحيز بأنواعه الثلاثة (البنية، المنهج والبند) هي أكبر مهدد لصلاحية الاختبارات المنقولة ثقافيا، والاختبارات المترجمة والمستعملة في الجزائر لا تكاد تخلو من هذا التحيز.
- وفي دراسة لعبد العزيز بوسالم (2015)، حول واقع تطبيق الاختبارات في الممارسة السيكولوجية في الجزائر، على عينة من الدراسات الأكاديمية ومقابلة عدد من النفسانيين العاملين في بعض المراكز الاستشفائية والعيادات النفسية الخاصة، توصل إلى النتائج الآتية¹:
- أغلب الاختبارات المستخدمة هي اختبارات غربية البناء والمعايير.
- تداخل محتوى الاختبارات فيما بينها من حيث السمات التي تقيسها.
- الاختبارات التي تم تعريبها لا يتفق محتواها مع ثقافة المجتمع الجزائري.
- عدم وضوح التصور النظري الذي يكمن خلف هذه الاختبارات، وعدم إدراك المطبقين لهذه الأبعاد إلى درجة كبيرة، ليصبح تطبيق الاختبار مقتصرًا على البعد التقني الخالص.
- الكثير من الباحثين يطوِّعون بعض الاختبارات للتطبيق على فئات غير مناسبة.

- قلة الدعم الأمبريقي والتقنين العلمي للاختبارات، حيث لا يكلف العاملون في الميدان أو الباحثون أنفسهم إعادة تطبيق الاختبار تطبيقاً تجريبياً قصد التحقق الأمبريقي من صلاحيته.
- استخدام مقياس واحد في موقف واحد لجمع البيانات، في حين أن الحقيقة العلمية تقول أن التشخيص السليم والموضوعي يتطلب تطبيق عدة أدوات قصد الاقتراب أكثر من الفهم الموضوعي لسلوك الفرد وتقديم تفسير علمي له.
- تعدد الاختبارات المستخدمة لقياس نفس السمة، مما يربك مطبقي الاختبارات لعدم وجود معايير علمية واضحة يعتمدون عليها لاختيار اختبار دون آخر، وتطبيقه في موقف معين مناسب للهدف من التطبيق ولخصوصية العينة.

3. المعايير الضرورية في الاختبارات المكيفة:

- يجب على الباحث في مجال العلوم السلوكية، أن يكون على دراية بالشروط والخصائص الواجب توفرها في الاختبارات، وبالتالي اعتبارها كمعايير يجب الاحتكام إليها لقبول الاختبار أو عدم قبوله، وأهم هذه المعايير¹:
- توفر دليل للاختبار يوضح كيفية استخدامه وأهدافه ودراسات الصدق والثبات التي أجريت عليه، وتوفر التعليمات ومفتاح التصحيح ومعايير تفسير نتائجه.
- النظر في حداثة الاختبار من حيث تاريخ إعداده والدراسات التي أجريت عليه، من أجل التحقق من صلاحيته في مختلف البيئات.
- الاهتمام بالجانب الثقافي عند نقل الاختبارات أو ترجمتها؛ إذ يجب أن تترجم ترجمة ثقافية لا ترجمة حرفية لتجنب التحيز الثقافي، ووجوب إعادة دراسات الصدق والثبات والمعايير وصياغة التعليمات ومفاتيح التصحيح، وإعادة تقنينها على عينات جديدة تمثل المجتمع الجديد الذي سوف تطبق فيه.
- تحديد مسؤولية من يقوم بتطبيق الاختبارات، ووجوب توفره على التأهيل العلمي والكفاءة الميدانية التي تسمح له بتطبيق الاختبار والاستفادة من نتائجه.
- حماية حقوق من يطبق عليهم الاختبار؛ من حيث تفسير النتائج وضمان سرية المعلومات.

1 في: بوسالم، 2015، ص 24. وفي: بوسالم، 2017، ص 192-193

- تهيئة الظروف الفيزيائية المناسبة لتطبيق الاختبار، حسب الخصوصية المميزة له بما يتطلبه من شروط وعوامل تسهل عملية التطبيق.

4. اقتراحات لتحسين عملية استخدام الاختبارات والمقاييس:

يكتسي استعمال الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، أهمية بالغة في عملية التشخيص والكشف عن الظاهرة التي يهتم بقياسها المختص النفسي أو الباحث الأكاديمي، لذلك يتطلب الأمر التأكد من صلاحية هذه الأدوات والوثوق في نتائجها. ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توفر مجموعة من الشروط التي تدعم دقة النتائج، والتي من خلالها، يمكن الوصول إلى حلول للظاهرة محل الدراسة، وفي ما يلي مجموعة من الاقتراحات التي تساهم في تحسين استعمال هذه الأدوات¹:

- إصدار دليل مفصل للاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في الجزائر، على أن يتضمن الدليل استخدامات الاختبار وخصائصه السيكمترية، والبحوث والدراسات المتعلقة بكل اختبار، مع معايير تفسير النتائج والخلفية النظرية الملائمة لذلك.
- تقنين المقاييس والاختبارات النفسية على المجتمع الجزائري، ومحاولة توحيد الجهود بين الباحثين بهدف الوصول إلى اختبارات ملائمة للاستخدام وفقا لثقافة وخصوصية المجتمع المحلي.
- توسيع عينات التقنين؛ بحيث تكون شاملة لجميع مناطق الثقافات الفرعية في الجزائر دون إقصاء.
- الاعتماد على اختبارات متنوعة أثناء عملية التشخيص.
- استخراج معايير محلية للاختبارات والمقاييس المطبقة في الجزائر.

1 في: هامبلتون، 2006. وفي: بوسالم، 2015. وفي: عباس ومهلل، 2016

خاتمة:

يحتاج الباحث الأكاديمي، - سواء كان عاملا في حقل علم النفس أو علوم التربية، وسواء كان أستاذا أو طالبا - إلى أدوات يستعين بها في جمع المعلومات، هذه الأخيرة تفقد مصداقيتها عندما تكون الأدوات المستخدمة غير ملائمة للبيئة المحلية؛ سواء من حيث التعبيرات اللغوية غير الملائمة (سوء الترجمة)، أو لعدم ملائمة الأداة لثقافة المجتمع أو لقيمه وعاداته.

على الرغم من الاعتقاد السائد عند بعض الباحثين؛ بأن تكييف الاختبارات الموجودة حتى ولو كانت غربية، يعتبر أفضل من بناء اختبارات جديدة مكلفة وباهظة الثمن وتستغرق وقتا أطول، غير أن بقاء المجتمعات العربية عالة على المجتمعات الغربية، لم ينزع الشكوك والنظر بعين الريبة للاختبارات التي تم تكييفها، ولهذا قد يكون من بين الفوائد التي يمكن للباحثين استخلاصها من التجارب السابقة في هذا المجال هو ضرورة التحرر والانطلاق في المحاولات الجادة لبناء الاختبارات التي تتفق مع بيئتنا وثقافتنا وقيمنا¹.

لذلك، فإن تكييف أدوات القياس على البيئة المحلية، يعد ضرورة ملحة حتى يتمكن الباحث من الحصول على نتائج يستطيع الوثوق في صدقها، ومن ثم يعمل على إيجاد الحلول المناسبة للظاهرة المدروسة، ورغم صعوبة تكييف أدوات القياس، إلا أنها مهمة ليست بالمستحيلة، فقط يتطلب الأمر نوعا من الصبر واحترام مراحل تكييف المقاييس والاختبارات، كما يتطلب الأمر تظافر جهود عدة جهات لكي تكتسب أداة القياس المكيّفة درجات مقبولة من الصدق والثبات، وهذا ما يؤدي بدوره إلى موثوقية استخدامها.

الهوامش:

1. بن حليم أسماء. حبال ياسين ومأمون عبد الكريم، 2017، بناء تقنين وتكييف الاختبارات النفسية في الجزائر. المعوقات والحلول والبدائل من وجهة نظر أساتذة علم النفس، مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 05، العدد 01، ص ص 296-314

1 نعموني، مرجع سابق، ص 163

2. بو سالم عبد العزيز، جوان 2017، الصدق الثقافي للاختبارات النفسية المطبقة في الجزائر، مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 04، العدد 02، ص ص 185-196.
3. بو سالم عبد العزيز، 2015، الاختبارات النفسية المطبقة في الدراسات الأكاديمية الجزائرية وضرورة التكيف من أجل الصلاحية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 14، الجزائر، ص.ص 20-26.
4. حدار عبد العزيز، 2012، إشكالية النقل الثقافي للمقاييس النفسية وموجهاته المنهجية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 05، العدد 07، الجزائر، ص.ص 91-109.
5. عباس عبد الرحمن ومهلل زينة، 2016، النقل الثقافي للاختبارات ذات المنشأ الغربي في البيئة الجزائرية، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، المجلد 01، العدد 01، الجزائر، ص.ص 231-260.
6. عباس عبد الرحمن، 2017، الانحياز الثقافي للاختبارات النفسية ذات المنشأ الغربي في البيئة الجزائرية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد 01، الجزائر، ص.ص 134-150.
7. فرج صفوت، 2007، القياس النفسي، ط 06، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
8. معمريه بشير، 2007، القياس النفسي وبناء أدواته، الجزائر: منشورات الحبر.
9. نعموني مراد، جانفي 2014، التكيف الثقافي للاختبارات النفسية للبيئة العربية (آراء واقتراحات)، مجلة الحكمة للدراسات النفسية والتربوية، المجلد 02، العدد 03، ص.ص 153-164.
10. هامبلتون رونالد. ميريندا بيتر ف وسيلبرغر تشارلز د، 2006، تكيف الاختبارات التربوية والنفسية للتقييم عبر الثقافات، ترجمة هالة برمدا، مراجعة عشوي مصطفى، ط 01، المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان.